روايات مصرية للجيب



القاتل

د. نبيل فاروق





للشباب

كتاب فى مجلة
ومجلة فى كتاب

مراجعة لغوية
الأستاذ/محمد شفيق عطا

بقلم
د. نبيل فاروق

الغلاف والرسوم الداخلية
الأستاذ/إسماعيل دياب

كاريكاتير ولافتات
الأستاذ/خالد الصفتى

حروف وكلمات
الأستاذ/محمد عبد الفتاح

رسومات الأغلفة الداخلية
الأستاذ/ميشيل معلوف

إشراف فنى
الأستاذ/صبحى عبود

الإشراف العام
الأستاذ/حمدى مصطفى





للشباب

كتاب فى مجلة
ومجلة فى كتاب

القاتل

بقلم : د. نبيل فاروق

بريشة : إسماعيل دياب



بانوراما

سلسلة جديدة ، تقدم لك مختلف ألوان الأدب والثقافة والفنون ، التى اعتادت (روايات مصرية للجيب) تقديمها للشباب ، فى إطار فريد متجدد ، وأسلوب بسيط معاصر ..

هى صورة شاملة لكل ما يعجبك ، وكل ما يجذبك فى نهايات القرن العشرين ..

وهى (بانوراما) للمستقبل ..

وللشباب ..

كل الشباب .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ٨ شارع ٢٧ المنطقة الصناعية بالعباسية - المكتبات ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة - القاهرة ت . ٨٣٦٢٣٨٠ - ٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 2596650/202 ج.م.ع.



هل تؤمن بالحظ ؟!..

بالنسبة لى ، لم أومن أبدا بما يسمى بالحظ ، فيما يختص بعملى على الأقل ، فأنا ـ كرجل قانون ـ لا أومن إلا بالوقائع المحدودة ، والأدلة المادية ، والقرائن القوية .. أما الحظ ، فأنا أعتبره مجرد مشجب ، يعلق عليه الفاشلون أخطاءهم ، وينسبون إليه كل فشل يمنون به ..

ولكن الجريمة ، التى أحقق فيها هذه المرة ، ترتبط كثيرًا بالحظ ..

كثيرًا جدًا ..

ففى الخامسة صباحًا ـ كالمعتاد ـ تلقيت مكالمة هاتفية ، أيقظتنى من نوم جميل ، فالتقطت سماعة الهاتف ، وأنا أسب وألعن فى أعماقى ، إلا أننى بذلت قصارى جهدى ، للسيطرة على نبرات صوتى ، وأنا أقول فى هدوء ظاهرى :

ـ أنا المفتش (عدل) .. من المتحدث ؟

أتانى صوت زميلى (سعد) ، وهو يقول :

ـ أنا (سعد) يا (عدل) .. يؤسفنى إيقاظك ، ولكن هناك جريمة كبيرة ، والمدير يطلب منك التحقيق فيها بنفسك .

تساءلت فى أعماقى عن السبب فى اختيارى أنا بالذات ، كلما حدثت جريمة بعد منتصف الليل ، ولكننى لم أكن أملك غير تنفيذ الأوامر ، فنهضت أرتدى ثيابى ، وأنا أتثاءب مرهقًا ، وانطلقت بسيارتى إلى العنوان الذى حدده لى (سعد) ، ولم أكد أقترب من المكان ، حتى لاحظت وجود حركة أكبر من المعتاد ، حول الفيلا التى وقع فيها الحادث ، وتذكرت على الفور أن الفيلا تخص أحد كبار المسئولين السابقين ، ممن كانت لهم هيبة وسمعة مخيفة ، فأوقفت سيارتى ، واتجهت إلى الفيلا ، وأفسح لى رجال الشرطة الطريق ، فور تعرفهم شخصيتى ، حتى توقفت أسفل السلم الداخلى ، الذى يقود إلى شرفة الفيلا ، حيث رقدت جثة ذلك المسئول السابق ، وقد غطاها بعض رجالنا بملاءة كبيرة ، تلوثت ببقعة من الدماء ، عند موضع الرأس ..

والتفت إلى ضابط شرطة النجدة ، الذى تلقى البلاغ الأول بوقوع الحادث ، وسألته :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟

أجابنى الضابط بشكل روتينى :

ـ لقد تلقينا البلاغ فى تمام الرابعة والنصف ، فقد خرج خفير الفيلا لتفقد المكان ، ففوجئ بسيده ملقى هنا جثة هامدة ، ومصابًا بضربة فى مؤخرة رأسه ، تنزف منها الدماء .

سألته وأنا أحاول إجبار عقلى نصف النائم على التركيز :

ـ وهل أجريت تحقيقات أولية ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. فالقتيل يقيم وحده فى الفيلا ، بعد موت زوجته ، وسفر ابنه الوحيد إلى الخارج ، وهو سكير ومقامر ، ولكنه لا يمارس القمار فى فيلته قط ، بل يزاوله مع أربعة من أصدقائه فى فيلا قريبة ، ولا يعود إلى فيلته إلا بعد أن يخسر كل قرش معه فى المعتاد .

سألته :

ـ وهل استجوبتم صاحب الفيلا ، التى يفعل فيها هذا ؟

أجاب بسرعة ، وكأنه يتوقع السؤال :

ـ نعم .. لقد ذهبنا إليه على الفور ، وضبطناه مع ثلاثة من أصدقائه ، يواصلون لعب القمار ، ولكننا لا نستطيع توجيه الاتهام إليهم للأسف ، فلم يكن معنا أمر ضبط .

غمغمت فى شىء من الحنق :

ـ نعم .. أعلم هذا .

ثم سألته :

ـ والآن هل يمكننى بدء تحقيقاتى ؟

سألنى فى اهتمام :

ـ بمن ستبدأ ؟

أجبته فى حسم :



ـ بالخفير .. أريد أن أعرف ما لديه .

جاء الخفير على الفور ، ولم أكد أسأله ، حتى روى لى القصة نفسها ، التى رواها للضابط ، واستمعت إليه حتى انتهى من روايته ، ثم سألته :

ـ متى عاد سيدك إلى الفيلا ؟

أجابنى فى حذر :

ـ لقد عثرت عليه فى الرابعة والنصف صباحًا .

اعتدلت وأنا أسأله :

ـ إذن فلست تعرف متى عاد ؟

ارتبك الخفير ، وبدا عليه الكثير من التوتر ، فتابعت أنا فى حزم :

ـ عجبًا !.. أليس عملك الرئيسى هو حراسة الفيلا ليلًا ، ومعرفة كل قادم إليها ؟

ازداد ارتباكه ، وخفت صوته وهو يقول :

ـ إننى أعمل ليلًا ونهارًا .

قلت فى صرامة :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟

خفض عينيه ، مغمغمًا فى اضطراب :

ـ لا يمكننى البقاء مستيقظًا طوال الوقت .

ابتسمت فى صرامة ، وأنا أقول :

ـ إذن فقد كنت نائمًا ، عندما عاد إلى الفيلا .

ارتبك لحظات ، ثم أجاب فى حذر :

ـ لست أدرى متى عاد بالضبط ، ولكننى سمعت جلبة محدودة ، فى الثالثة صباحًا تقريبًا إلا أن كلب الحراسة لم ينبح ، مما أوحى إلىّ بأنه السيد ، وقد عاد إلى الفيلا مخمورًا كعادته ، ويثير بعض الصخب ، وكنت مجهدًا بشدة ، فعدت إلى النوم .

تمتمت ، وكأننى أتحدث إلى نفسى :

ـ فى الثالثة تقريبًا .. عظيم .

ثم طلبت استدعاء المقامرين الأربعة ، وجاءوا أمامى مرتبكين متوترين ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها خبير المعمل الجنائى ، وألقى علىّ التحية وهو يقول :

ـ واصل تحقيقاتك يا (عدل) ، وسأخبرك بالدلائل الواضحة ، قبل أن أنصرف من هنا .



شكرته والتفت إلى الرجال الأربعة (محمود) و (طارق) و (حاتم) و (حسين) ، وألقيت سؤالى الأول على (طارق) ، صاحب فيلا المقامرة ، وقلت فى لهجة استجوابية حازمة :

- متى غادركم القتيل ؟
ارتبك وهو يجيب :
- فى الثالثة إلا الربع تقريبًا ، ولكننا و[illegible] هوايتنا ، و ...
قاطعته فى صرامة :
- وهل أوصلته إلى هنا بنفسك ؟
لوّح بذراعيه فى هلع ، وهو يقول :
- كلّا .. لم تكن هناك حاجة إلى هذا ؛ فالمسافة بين الفيلتين لا تتجاوز العشرين مترًا ، ولقد اعتاد الرحيل وحده .. إننى لم أغادر الفيلا منذ انصرافه ، وحتى سمعت خبر وفاته .. أقسم لك .. الوحيد الذى خرج هو ..

بتر عبارته بغتة ، وتطلّع إلى الرجال الثلاثة الآخرين مرتبكا ، فانعقد حاجبا (محمود) ، وهو يقول فى عصبية :
- لقد خرجت لشراء علبة سجائر ، وعدت بعد عشر دقائق على الأكثر .
قلت فى برود :
- هناك الكثير مما يمكن فعله ، فى هذه الدقائق العشر .

صاح فى حدة :
- كلّا .. إنها لا تكاد تكفى لبلوغ كشك السجائر الوحيد ، الذى يعمل طوال الليل ، وشراء علبة السجائر ، ثم العودة إلى الفيلا .
ملت نحوه ، وقلت وأنا أتطلّع إلى عينيه مباشرة :
- هذا لو أنك تحتاج إلى علبة سجائر بالفعل .
تراجع قائلا فى حدة :
- ماذا تعنى ؟
أجاب (حسين) فى عصبية :
- المفتش يقصد أنك كنت تخفى علبة سجائر فى جيبك ، وتظاهرت بالذهاب لشراء علبة سجائر ، ثم هرعت إلى هنا لتقتل (فريد) .
صاح فى حدة :
- ولماذا أفعل ؟
أجاب (حاتم) فى توتر :
- لتسرق منه ما ربحه هذا المساء .
أثارت هذه العبارة اهتمامى، فسألت (حاتم) :
- هل ربح القتيل الكثير هذا المساء ؟

خيل إلىّ من احتقان وجهه ـ أنه تورّط فى العبارة . فقد ارتبك فى شدة ، قبل أن يجيب فى عصبية :

ـ إنه يخسر فى المعتاد ، ولكنه كان سعيد الحظ بشدة هذا المساء ، فربح مايقرب من ثلاثة آلاف جنيه ، ثم رفض الاستمرار فى اللعب ، وقال : إنه يفكّر فى العودة إلى منزله رابحا ، ولو لمرة واحدة .

عاد خبير المعمل الجنائى فى هذه اللحظة ، وهو يقول :
ـ سبب الوفاة واضح ، وهو إصابة بجسم معدنى مفلطح ، على مؤخرة الرأس ، ولقد أصيب فى أثناء صعوده فى السلم ، ثم تدحرج ليرتطم بالدرجة الأخيرة من درجات السلم ، ويستقر عندها جثة هامدة .

سألته :
ـ أليس من المحتمل أن الارتطام هو الذى قتله ؟
هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :
ـ لا .. لقد مات فى منتصف السلم تقريبًا . فالدماء تتناثر من هناك ، وحتى موضع استقرار الجثة .

ثم تابع فى لهجة ذات مغزى خاص :
ـ وهو لا يحمل حافظة نقوده .
انعقد حاجباى فى شدة .. مع العبارة الأخيرة..

إذن فالقتل تم بغرض السرقة ..
ولكن من قتله من هؤلاء جميعًا ؟
نبح كلب الحراسة فى هذه اللحظة ، وهم يحملون جثة صاحبه على محفة كبيرة ، إلى عربة الإسعاف ، فالتفت أنا إلى (طارق) ، وسألته :

ـ إذن فـ (محمود) وحده غادر المكان ، بعد انصراف القتيل .
قال (محمود) فى غضب :
ـ قلت : إننى ذهبت لشراء سجائر ، وغيابى لم يستغرق أكثر من عشر دقائق،



وهى أكثر بكثير مما استغرقه (طارق) نفسه، لإعداد اكواب الشاى .

ارتبك (طارق) ، وهو يقول :
ـ إنها ربع الساعة على الأكثر
أجاب (محمود) فى شماتة :

ـ يمكنك أن تضع الماء على الموقد ، ثم تقفز من نافذة المطبخ ، وتهرع إلى هنا ، فتضرب (فريد) وتقتله ، ثم تستولى على نقوده ، وتعود لتعدّ الشاى .

شحب وجه (طارق) فى شدة ، فى حين قال (حاتم) :
ـ فكرة معقولة .
صاح به (طارق) :

ـ أية فكرة ؟.. أنت أيضا غادرت المكان إلى دورة المياه ، واستغرقت هناك وقتا طويلا، كان يمكنك أن تفعل فيه الشىء نفسه، وكذلك (حسين)، الذى ذهب ليستريح قليلًا فى حجرة الضيوف ، التى تطلّ نافذتها على الطريق الخارجى مباشرة .
صحت فى صرامة :
ـ كفى أيها السادة .. ليس من حق أحدكم توجيه الاتهامات إلى الآخرين .



صمتوا في توتر ، وكل منهم يرمق الآخر بنظرة غاضبة متوترة ، فى حين رحت أنا أتطلّع إلى السلم فى شرود ..

•

كان سلمًا من الرخام الأبيض ، له حاجز معدنى عريض ، تم دهانه بلون أحمر قان، بدا لى مزعجًا، مع أضواء الشروق الأولى، التى صبغت كل ما حولنا باللون الأحمر المصفر ، وتطلّعت مرة ثانية إلى كلب الحراسة الضخم ، الذى قبع فى مكانه حزينًا بائسًا ، وقاومت تلك الرغبة الملحة فى أعماقى للنوم ، واستسلمت لرغبة جفنىّ فى الانسدال على عينىّ الناعستين أو ...

وفجأة ، قفز كل شىء إلى ذهنى ..

لست أدرى ماذا حدث بالضبط ، ولا كيف توصلت إلى الحقيقة هذه المرة ، ولكننى هتفت فجأة :

ـ بالتأكيد .

تطلع إلىّ الجميع فى دهشة ، وأنا أهرع إلى السلم ، وأصعد فى درجاته عدوًا ، ثم انحنى لفحص الحاجز المعدنى العريض فى اهتمام ، وبعدها أعتدل فى ارتياح ، وأنا أبتسم ظافرًا ، فسألنى (طارق) فى قلق :

ـ هل عثرت على شىء ما ؟

هبطت بسرعة ، وأنا أسأل الضابط ؟

ـ أين الخفير ؟

هتف يستدعى الخفير ، الذى لم يكن يصل ، وهو يرتجف ويرتعد على نحو واضح ، حتى اعتدلت ، وقلت له فى صرامة مخيفة :

ـ أين الحافظة ؟

انتفض جسده فى عنف ، وهو يحدّق فى وجهى ، قبل أن يقول فى هلع :

ـ أية حافظة ؟

قلت فى غلظة :

ـ حافظة القتيل ونقوده .. ولا تحاول الإنكار ، فقد انكشف كل شىء .

انهار الخفير على الفور ، وهو يجيب :

ـ لقد أخفيتها فى حجرتى .

صاح (طارق) :

ـ رباه !.. أنت قتلت سيّدك إذن .

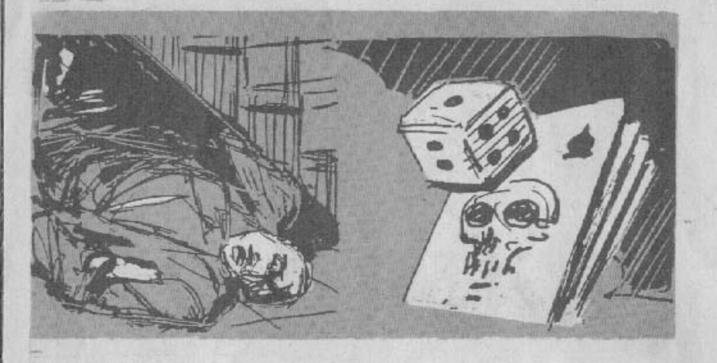
صرخ الخفير فى ذعر :

ـ كلّا .. كلّا يا سيّدى .. أقسم لك .. لقد سرقت الحافظة والنقود ، ولكننى لم أقتله .

صاح به (حاتم) :

ـ من فعل إذن أيها المجرم ؟

أوقفتهم بإشارة من يدى ، قبل أن يحتدم الشجار بينهم ، وقلت :



ـ مهلا أيها السادة.. تذكّروا أن الكلب لم ينبح.
سألنى (حسين) فى حيرة :
ـ وما الذى يعنيه هذا ؟
أشرت إلى الكلب ، قائلًا :
ـ هذا الكلب من كلاب الحراسة القوية ، وهو يقوم بحراسة الفيلا مع الخفير ، ومن المؤكد أنه اعتاد رؤية صاحبه ، وهو يعود مخمورًا مترنحًا فى كل ليلة ، ولن ينبح بسبب هذا ، ولكن ماذا لو رأى أحدهم يهاجم صاحبه، ويعتدى عليه أمامه؟.. أما كان قد ملأ الحى كله نباحًا وعواءً ؟!
غمغم (محمود) :
ـ كان سيفعل بالتأكيد .
قلت فى هدوء :
ـ وما دام لم يفعل ، فما الذى يعنيه هذا ؟
لم أنتظر جوابًا من أحدهم ، وإنما تابعت على الفور :
ـ يعنى أن أحدًا لم يعتد على (فريد) ، وإنما كانت مجرّد ضربة حظه .. حظه السيئ ، الذى جعله يتعثّر ، وهو يصعد فى درجات السلم مترنحًا ، فيرتطم رأسه بحاجز السلم العريض ، وتتهشّم مؤخرة رأسه ، فيسقط جثة هامدة ، فى نفس اليوم الذى ربح فيه لأوّل مرة .
ثم رفعت يدى أمامهم ، متابعًا :
ـ وها هى ذى الدماء ، التى تركتها إصابته على الحاجز العريض ، فاختفى لونها مع لونه الأحمر القانى المزعج .
اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، ثم غمغم (طارق) :
ـ وماذا عن الحافظة ؟
نظرت إلى الخفير ، الذى يبكى فى مرارة ، وقلت :
ـ إنه طمع بشرى ليس أكثر ، فالخفير عثر على سيّده قتيلًا ، ورأى حافظته المتخمة بالنقود ، فانتزعها من جيبه ، وأسرع يخفيها فى حجرته ، ثم عاد ليبلغ رجال الشرطة .
بكى الخفير ، وهو يقول :
ـ نعم .. إنه الطمع .. الطمع .
وسألنى الضابط :
ـ هل تعنى ياسيّدى أن هذا الحادث مجرّد .. ؟
قاطعته بسرعة :
ـ مجرّد حادث عرضى أيها الضابط ، أو ..
واتسعت ابتسامتى ، وأنا أضيف :
ـ أو ضربة حظ .
وكانت هذه اوّل مرة أومن فيها بذلك الشىء ..
الحظ .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]



سأصاب بالجنون ..

من المؤكد أننى فى طريقى إلى هذا ، بعد كل ما حدث ..

أو أننى قد بلغت مرحلة الجنون بالفعل ..

على الأقل هذا ماتؤكده الأوراق الرسمية ، وشهادات هؤلاء الأطباء ، الذين وضعونى فى هذه الحجرة الضيقة ، التى تحتل مرآة كبيرة أحد جدرانها ، وأنا واثق من أنها مرآة مزدوجة ، وأنهم يراقبوننى من خلفها فى اهتمام وانتباه كبيرين ..

ولكننى لم أستسلم لمحاولاتهم ..

وسأحتفظ بالحقيقة كلها لنفسى ..

حقيقة ذلك القاتل ..

لا يمكنكم أن تتصوروا كيف بدأ الأمر ، فقد كنت أفحص بقايا نيزك صغير ، سقط منذ أسبوع واحد ، فى الصحراء الغربية ، عندما وجدته أمامى فجأة ..

لقد انبعث فى قلب النيزك ، كما ينبعث الدخان من المصباح ، فى قصة (علاء الدين) الشهيرة ، وراح يتجسد أمامى على نحو مذهل ، جعلنى أحدق فيه فى ارتياح كامل ..

كان كيانا هلاميًا شفافا ، يشبه الحيوانات الأميبية الأولية ، ولكنه يتحرك فى بطء وهدوء ، ويحيط بى كغلاف من بخار متجمد مخيف ..

وعلى الرغم من عدم وجود تفاصيل جسدية واضحة له ، إلا أننى شعرت وكأن عشرات العيون تطل منه ، وتراقبنى فى اهتمام وإمعان ، حتى أننى صرخت :

ـ ما أنت ؟ وماذا تريد منى ؟..

ولكنه أطبق علىّ فجأة ..

ولست أدرى ما إذا كان هذا المصطلح مناسبا أم لا ؛ فهو لم يطبق علىّ بالمعنى المفهوم ، ولكنه اخترق كيانى ، وتسلل إلى وجدانى كله دفعة واحدة ، حتى كدت أشعر به فى خلاياى وأنفاسى ، وفى كل نبضة تنبعث من قلبى ..

لقد امتزج بى تماما ..

نعم .. هذا هو المصطلح الصحيح ..

امتزج بى ..

وحاولت أن أصرخ ..

حاولت ، وحاولت .. وحاولت ..

ولكننى لم أفعل قط ..

كان ذلك الشيء يسيطر على تمامًا ، ويعبث بأعماقى وعقلى كيفما يحلو له ، وينبش ذاكرتى فى بطء وهدوء ، وكأنه يلتهم ماضى كله ..

ثم فجأة أيضا ، غادر جسدى دفعة واحدة ، وراح يتكوّن أمامى ..

واتسعت عيناه فى ذهول ..

وصرخت ..

لقد تجسّد فى هيئة ، هى نسخة طبق الأصل منى ، حتى لم أعد أعرف أينا هو ، وأينا أنا ..

حتى عندما تكلّم ، كان يحمل نفس صوتى ، وهو يقول :

ـ أنت عالم جيولوجى .. إننى سعيد الحظ بالفعل .

تراجعت فى سرعة ، واختطفت مسدسى من درج مكتبى ، وصوّبته إليه ، صارخًا :

ـ لست أدرى ما أنت بالضبط ؟، أو من أنت ؟.. ولكننى سأقتلك فى الحالتين .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة شيطانية مخيفة ، وهو يقول :

ـ تقتلنى أم تقتل نفسك ؟

ارتبكت أمام سؤاله ، وارتجف المسدس فى يدى ، وأنا أقول :

ـ ماذا تعنى ؟

هز كتفيه فى هدوء ، وقال :

ـ أنت تفهم ما أعنيه ، فأنت نفسك لم يعد باستطاعتك التمييز .. إنك لا تثق تمامًا بأنك أنت الشخص الحقيقى ، وأنا القادم من بعيد .. ربما كنت أنت القادم من بعيد ، وأنا الحقيقى .. أليس كذلك ؟

كان سؤاله أشبه بالفلسفة السفسطائية ، إلا أن عقلى ارتبك مع عباراته ، ووجدت نفسى حائرا بالفعل ..

من منا الأصلي ، ومن المصنوع ؟..

وأطلق هو ضحكة شيطانية مخيفة ، وكأنما قرأ أفكارى ، وقال :

ـ أرأيت ؟.. لقد غصت فى ذاكرتك حتى الأعماق ، وامتصصت جزءا من رحيق حياة كل خلية من خلاياك ، وامتزج كيانى بكيانك ،



ثم انقسمنا إلى كيانين متشابهين ، ففيك جزء منى ، وفىّ جزء منك .

لم أشعر بالارتياح لحديثه ، ولكننى خشيت أنه على حق ، بدليل تلك الحيرة التى تملأ كيانى ، وأنا أتطلّع إليه ، وذلك التردد الذى أصاب سبابتى ، وأنا أصوّب إليه المسدس ..

ولكن لا ..

ينبغى أن أضغط الزناد ..

لن أترك شيئا شيطانيًا كهذا حرًا طليقًا ، على سطح كوكبى ..

أما هو ، فقد بدا هادئًا لا مباليا ، وهو يستدير إلى مكتبى ، وينحنى ليلتقط بعض الملفات السرية جدًا ، قائلًا فى هدوء ، وكأنه يزيد من ارتباكى :

ـ وما دمنا لانعرف من أنت ومن أنا بعد ، فلنخف هذه الملفات السرية ، حتى لا يطلع عليها أحدنا ؟ ولا ..

ولم أدعه ليتمّ عبارته ..

لقد اختطفت جسمًا ثقيلًا ، وهويت به على مؤخرة رأسه ، بكل ما أمتلك من قوة ..

وجحظت عيناه لحظة ، وهو يندفع إلى الأمام ، ويرتطم بالمكتب ، ثم يهوى على الأرض ..



وبسرعة ، انحنيت لأفحصه ، وارتجف جسدى كله ..

لقد مات ..

لم يعد فى جسده نبض أو نفس يتردَّد ..

وراح جسدى يرتجف ..

لقد قتلته ..

قتلت ذلك الشىء القادم من الفضاء ..

وتراجعت لأتكمش فى ركن الحجرة ، وأحدِّق فى الجسد الملقى أمامى ذاهلًا ، مرتجفًا ، يسرى التوتر والرعب فى كل خلية من خلاياى ..

إنك لا ترى نفسك جثة هامدة ، فى كل يوم ..

وهذا الشىء الراقد أمامى هو أنا ..

أنا بكل ملامحى وتفاصيلى ..

ولست أدرى كم بقيت هكذا ، صامتًا ، ساكنًا ، منكمشًا ، فى ركن الحجرة ، ولكننى انتبهت على صوت ضابط شرطة ، يميل نحوى ، قائلًا :

ـ أستاذ (ذهنى) .. أنا آسف ، ولكننى مضطر لإلقاء القبض عليك .

تطلَّعت إليه لحظة فى ذهول وشرود ، قبل أن أسأله :

ـ لماذا ؟

أشار إلى الجثة الملقاة ، مجيبًا :

ـ بتهمة القتل .

هممت بشرح الأمر كله ، ولكنه استطرد على الفور :

ـ قتل مساعدك (منصور) .

قفزت من مكانى ، وأنا أهتف :

ـ قتل من ؟!

كرَّر فى أسى ، وهو يتطلَّع إلى الجثة :

ـ مساعدك (منصور) .. لماذا قتلته يا أستاذ (ذهنى) ؟.. لماذا ؟

خُيِّل إلىَّ أن الضابط قد فقد عقله ، فالجثة الملقاة أمامه هى جثتى أنا .. ليس هناك أدنى شك .. كيف لا يرى الملامح ، والمعطف ، واللحية القصيرة ؟!

إن مساعدى (منصور) حليق ، نحيل ، ضئيل ..

ولكن الضابط كرَّر فى شىء من الحزم هذه المرة :

ـ هيا يا أستاذ (ذهنى) .. أنا واثق من أنه لديك تفسير لهذا .

صحت فى وجهه :

ـ بالطبع لدى تفسير ، ولكن ..

وانهرت مستطردًا :

ـ من يصدقنى ..

قال الضابط ، وهو ينحنى ليعاوننى على النهوض :

ـ أخبرنا ما لديك ، وأعدك أن نبذل قصارى جهدنا لتصديقك .

هتفت به :

ـ حقًّا ؟!.. هل ستصدِّق أننى وجدت كيانًا فضائيًا فى ذلك النيزك ؟.. هل تصدِّق أنه تجسَّد فى هيئتى ، وكاد يقتلنى ، لولا أن بادرت أنا بقتله ؟

حدَّق فى وجهى بدهشة بالغة ، ثم غمغم :

ـ حسن يا أستاذ (ذهنى) .. حسن .. أخبرهم كل ما لديك فى أثناء التحقيق .

أزحت يده فى حدة ، وأنا أهتف :

ـ أى تحقيق .. لقد أنقذتكم جميعًا .. أنقذت الأرض كلها من كيان قاتل .

جذبنى فى شىء من العنف هذه المرة ، وهو يقول :

ـ هيا يا أستاذ (ذهنى) .. إنهم ينتظروننا ..

واتسعت عيناى فى ذهول ..

لقد رأيت من خلفه ذلك الشىء الشبيه بى ،



وهو ينهض جالسًا ، ويبتسم نفس الابتسامة الشيطانية المخيفة ، ثم يصوب مسدسه إلى الضابط ..

وصرخت فى ارتياع :

ـ احترس :

تراجع الضابط فى دهشة ، وهتف مستنكرًا :

ـ ماذا تفعل ؟

ودوت الرصاصات فى الحجرة ..

ورأيت الضابط يسقط جثة هامدة ، والدماء تنزف من صدره وعنقه وجبهته ..

أما ذلك الكيان الشيطانى ، فقد أطلق ضحكة مخيفة وهو يقول :

ـ هل رأيت ؟.. لن يصدقك أحد .

ثم عاد يرقد على ظهره جثة هامدة .

وصرخت بكل قوتى :

ـ أوقفوه .. أوقفوا ذلك القاتل ..

ولكنهم اقتحموا الحجرة ، وانقضوا علىّ ، ورحت أصرخ :

ـ ليس أنا أيها الأغبياء .. اقبضوا عليه هو .. هو..



ورحت أروى القصة ، وأكررها مرات ، ومرات ، ومرات ، والكل يستمعون إلىّ فى انتباه ، ثم يتبادلون نظرات الدهشة والحيرة ، ويدونون أشياء وأشياء فى أوراقهم ومذكراتهم ..

وفى النهاية ، قرّروا إيداعى مستشفى الأمراض العقلية ، تحت الملاحظة ..

وفى المستشفى جاء رئيسى لزيارتى ، وتحدّث إلىّ طويلاً عن غاز خاص ، تم العثور



على بقاياه فى قلب النيزك ، وهو يسبّب شيئًا من الجنون لمن يستنشقه ..

ولكننى لم أصدق حرفًا واحدًا مما قاله .. إنه - كعادة كبار المسئولين - يخفى الحقيقة ، بحجة عدم إصابة العامة بالذعر ..

وانصرف الجميع عنى ، وقد أراحتهم فكرة الغاز والجنون ..
ولكننى لست مجنونًا ..
أنا عاقل ..
بل أعقل مخلوق فيهم جميعًا .
ولكن المشكلة التى تؤرقنى هى : من أنا ؟..
أنا الدكتور (ذهنى) الحقيقى ، أم ذلك الكيان الفضائى ، الذى امتزج به ؟..

لم أجد جوابًا شافيًا حتى هذه اللحظة ، وربما بسبب ذلك الجسد البشرى ، الذى يعوق حركة مادتى الغازية ..
ربّما لو تحرّرت منه ، لصار الجواب أيسر وأسهل ..
ربما ..

* * *

[تمت بحمد الله]


حاتم الطائي ٢٠٠٠
الحلقة السابعة
قصة ورسوم: خالد الصفتي
ملخص ما نشر : اطمأن حاتم على زميله «متولي» وعلم أنه لم يأت معهم إلى الفيوم، وطلب منه الزملاء أن يفي بوعده ويحضر لهم الطعام، وفعلاً أحضر لهم خبزاً وملحاً .. وفجأة سمع صرخة قوية !
آآآآآه
فيه إيه ؟.. مالك يا «بيومي» ؟
تعبان ؟!
فين الولا الرفاعي اللي معانا؟
أيوه.. أيوه.. أنا «هاني الرفاعي».. الحقوا ...
ماتخافش ماتخافش إديني إيدك عشان أمص السم
اااااه
وبعد فترة
مش ح نروح بحيرة قارون ياحاتم ؟
إيه بحيرة قارون دي؟ ثم مين قارون ؟.. «قارون الرشيد» ؟
حد في الدنيا مايعرفش مين هو قارون ؟
قارون كان أغنى واحد في الدنيا.. لدرجة إن مفاتيح خزائن أمواله كانت لاتستطيع حملها عصبة الرجال الأقوياء ...
..وبعدين حاول المؤمنون إنهم يجعلوه يعترف بفضل الله عليه فرفض وقال إن الأموال دي كلها.. مش بفضل الله، ولكن بفضل عبقريته وذكائه !!
عشان كده.. ربنا خسف به وبداره وأمواله الأرض فكان عبرة للناس كلها!
يعني الأموال دي تحت البحيرة ؟
احتمال !
يبقى لازم أغطس وأدور عليها .... وألاقيها !!
البقية العدد القادم



ملخص ماسبق نشره :

تورّط (أشرف) فى صراع سوفيتى أمريكى ، وتعرّض مع السوفيتية (ناتاليا) لمحاولات قتل متعدّدة ، فحاول الفرار من (اسطنبول) ، ولكن الأمريكى (دارك) اعتقله ؛ ليعرف منه مكان أسطوانة الكمبيوتر ، التى يتصارع الأمريكيون والسوفيت من أجلها ، وفى الوقت نفسه حاول السوفيت التخلّص من (ناتاليا) ، بوساطة خطيبها السابق (نيكولاى) ، ولكنها نجحت فى الفرار ، والتقت مرة أخرى بـ (أشرف)، وواجهته بحقيقة مخيفة ، وهى أن أسطوانة الكمبيوتر تحوى أسرارًا عسكرية مصرية ..

★ ★ ★

١١ ـ أسرار مصرية ..

شبّك الملحق العسكرى السوفيتى أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يعقد حاجبيه ، ويتطلّع إلى التقرير العاجل ، الذى تلقّاه من رجال المراقبة فى (اسطنبول) ، ثم لم يلبث أن أطلق زفرة حارة ، من أعمق أعماق قلبه ، وهو يتمتم فى توتر :

ـ الأمور تزداد تعقيدًا فى كل خطوة .

قالها ، والتقط سمّاعة هاتفه الخاص ، واتصل بـ (موسكو) مباشرة ، ولم يكد يسمع صوت رئيسه ، حتى اعتدل وهو يقول :

ـ إنه أنا أيها الرفيق الرئيس .. نعم .. (كلاشينكوف) .. لقد فشل (نيكولاى) .

بدا التوتر على وجهه ، وهو يبتسم إلى رئيسه الغاضب ، وبدأ عرق بارد يتصبّب على وجهه ، وهو يقول فى شىء من القلق :

ـ لا أيها الرفيق .. (ناتاليا) هى التى قتلته .. لست أدرى كيف كشفت أمره ، ولكن رجالنا عثروا عليه صريعًا ، فى المنزل الآمن رقم (٦) .. لا .. لم نحدّد سبب الوفاة بعد ، ولكن الوجه المنتفخ ، والـ .. نعم .. نعم .. أيها الرفيق .. لقد قتلته بخاتمها المسموم على الأرجح .

وازدرد لعابه فى صعوبة ، وهو يستمع مرة أخرى فى انتباه ، ثم جفّف عرقه بمنديله ، وهو يقول :

ـ كما تأمر أيها الرفيق الجنـرال .. بالطبع .. بالتأكيد .. سننفذ الأمر على الفور .

وانهى الاتصال وهو يطلق زفرة متوترة ، ويهتف :

ـ اللعنة على (ناتاليا) هذه .. إنها تسبّب لى إزعاجًا لا يحتمل .

ثم ضغط زر الاتصال بينه وبين مدير مكتبه ، وقال فى حدة :
ـ أرسل فى طلب (يورى) .
ونهض من خلف مكتبه ، وراح يتطلّع إلى خريطة كبيرة لـ (تركيا) ، حتى سمع دقات خفيفة على باب مكتبه ، فقال دون أن يلتفت :
ـ ادخل يا (يورى) .
دلف إلى مكتبه شاب ممشوق القوام ، متين البنيان ، أسود الشعر ، يبدو فى مظهره العام أقرب إلى الشرقيين ، منه إلى السوفيت ، والتفت إليه (كلاشينكوف) ، قائلًا :
ـ عندى مهمة لك يا (يورى) .
اعتدل الشاب ، وهو يقول فى حزم :
ـ فى انتظار أوامرك أيها الرفيق .
عقد (كلاشينكوف) كفيه خلف ظهره ، وسأله :
ـ هل تعرف (ناتاليا) ؟
رفع الشاب أحد حاجبيه ، وقال :
ـ بالطبع .. لقد التقيت بها هنا منذ يومين ..
قال (كلاشينكوف) فى صرامة :
ـ لقد صدرت الأوامر بالتخلّص منها فورًا .
ظلّ (يورى) هادئًا ، وهو يقول :
ـ هل من معلومات ؟
ألقى إليه ملفًا صغيرًا ، وهو يقول :
ـ ستجد كل المعلومات المطلوبة هنا .
ثم التقى حاجباه ، وهو يستطرد :
ـ بأقصى سرعة يا (يورى) .
أجابه (يورى) على الفور :
ـ بأقصى سرعة أيها الرفيق .
وارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة .. ومخيفة ..

★ ★ ★

حدّق (أشرف) طويلًا فى وجه (ناتاليا) ، قبل أن يقول بصوت متحشرج مبحوح :
ـ ماذا تقولين ؟
أجابته فى صرامة :
ـ أقول : إن كل الأسرار ، التى تحويها أسطوانة الكمبيوتر ، تخصّ الجيش



المصرى .. وسلاح الطيران بالتحديد .
عجزت قدماه عن حمله ، فترك جسده يهوى فوق أقرب مقعد إليه ، وهو يقول بصوت مختنق ، حمل الكثير من هلعه وارتياعه :
ـ لو أنك تحاولين خداعى ، فـ ..
قاطعته فى حدة :
ـ لا وقت للخداع .. ما أقوله لك حقيقة لا تقبل الجدل .. هذه الأسطوانة تحوى معلومات بالغة السرية ، تخص سلاح الطيران المصرى ، ولقد سرقتها (هيلجا) من مهندس طيران مصرى ، ثم تخلّصت منه . ومن كل نسخ الاسطوانة ، بحيث أصبحت هذه النسخة ، التى وضعتها أنت ، هى النسخة الوحيدة فى العالم أجمع ، التى تحوى هذه الأسرار .
عاد يحدّق فى وجهها لحظة ، ثم انتفض هاتفًا :
فى هذه الحالة لابد من تدمير هذه الأسطوانة على الفور .
هتفت :
ـ حذار أن تفعل .

ثم استدركت في سرعة:
ـ المصريون أيضًا يحتاجون ، إلى هذه المعلومات .
قال في عصبية :
ـ لا تحاولي خداعي مرة أخرى .
قالت في توتر :
ـ أقسم لك إنها الحقيقة .. وينبغي أن تصدّقني ، فلم يعد هناك سبب للكذب .. لقد انقلبت عليّ دولتي ، وأصدرت أمرًا بالتخلص مني ، والأمريكيون يسعون خلفي في الوقت ذاته ، ولم يعد لي ملاذ سوى ..
وخفت صوتها ، وهي تضيف :
ـ سوى (مصر) .
هتف في دهشة :
ـ (مصر) ؟!
أجابته بسرعة :
ـ نعم .. عندما أعيد الأسطوانة إلى (مصر) ، بكل ماتحويه من معلومات ، سيمكنني عندئذ طلب حق اللجوء السياسي هناك .. صحيح أنهم سيستجوبونني لعام على الأقل ، في أروقة جهاز المخابرات المصري ، ولكنه ثمن مناسب ، مقابل حياتي واستقراري .
تطلّع إليها طويلًا في شك ، فقالت :
ـ فليكن .. لا تصدقني الآن ، ولكن دعنا نستعد الأسطوانة ، ونغادر هذا المكان بأقصى سرعة .. هيا .
هب من مقعده ، وهو يقول :
ـ نعم .. هيا بنا .

غادرا الحجرة في حذر ، وأسرعا إلى موظف الأمانات ، وقدّمت له (ناتاليا) مفتاح الخزانة ، و (أشرف) يقول في توتر :
ـ جئت لاسترداد متعلقاتي .
رمقه الموظف بنظرة هادئة ، وهو يقول :
ـ هذا حقك يا سيدي .
ثم قادهما إلى حجرة واسعة ، امتلأت جدرانها بأعداد لا حصر لها من خزائن صغيرة ، وكل منها تحمل رقمًا خاصًا ، وسألت (ناتاليا) :
ـ إنها رقم ألف وسبعة .. أليس كذلك ؟
أومأ (أشرف) برأسه إيجابًا ، وهو يتطلّع في دهشة إلى الموظف ، الذي وقف مبتسمًا ، فالتفتت إليه (ناتاليا) ، وقالت في صرامة :
ـ أليس من المفروض أن تغادر الحجرة ، قبل شروعنا في فتح الخزانة ؟
هزّ الموظف رأسه نفيًا ، دون أن تتلاشى ابتسامته ، وهو يقول :
ـ هذا يحدث في البنوك فقط يا سيدتي .
بدا عليها الشك والغضب ، ولكنها اتجهت على الفور إلى الخزانة ، وفتحتها ، وتنهّدت في ارتياح ، عند ما وجدت الأسطوانة تستقر داخلها ، ومدّت يدها تلتقطها ، ولكنها سمعت (أشرف) يقول :
ـ أعتقد أنه لا داعي لهذا .
التفتت إليه ، قائلة في حدة :



- ماذا تعنى ؟.. أليس ..
بترت عبارتها بغتة ، وانعقد حاجباها فى غضب ، عندما رأت الأمريكى (توم) يقف إلى جوار (أشرف) ، ويصوب مسدسه إلى رأسه مباشرة ، وهو يقول :
- يعنى أننا سنأخذ نحن الأسطوانة ، وشكرًا لجهودك .
اجتاحها غضب هادر ، وهى تنقل بصرها ما بين موظف الأمانات ، الذى حملت ابتسامته الكثير من السخرية هذه المرة ، و (توم) الذى يتطلع إليها فى صرامة ، و (أشرف) الذى تنهد قائلا فى مرارة :
- لقد فاجأنى .
فكرت فى انتزاع مسدسها ، وإطلاق النار على (توم) مباشرة ، ولكن هذا الأخير أدار فوهة مسدسه إليها ، وهو يقول :
- حذار أن تقفز إلى ذهنك أية فكرة حمقاء ، فمسدسى متأهب لإطلاق النار دون تردد ، وأنا أراقبك بكل الانتباه والتحفز .
هتف (أشرف) بغتة :
- ولكنك لا تراقبنى أنا .
قالها وهوى على يد الأمريكى بضربة عنيفة ، أزاحت المسدس جانبًا ، فالتفت إليه الأمريكى ، هاتفًا فى غضب :
- أيها الحقير .
تراجع (أشرف) بحركة سريعة ، ثم التقط مقعدًا معدنيًا ، وهو يقول فى عصبية :
- حذار أن تقترب منى ، وإلا ..
ولكن الأمريكى أطلق زمجرة مخيفة ، وانقض عليه كثور هائج ، فهوى عليه (أشرف) بالمقعد المعدنى ، ولكن الأمريكى التقط المقعد بقبضتيه فى قوة ، وانتزعه من يد (أشرف) ، وألقى به جانبًا ، وهو يهتف :
- خسرت فرصتك أيها المصرى .
لم يكد يتم هتافه ، حتى هوت (ناتاليا) على مؤخرة رأسه بمقعد معدنى آخر ، وهى تقول :
- وماذا عن فرصتى أنا ؟
جحظت عينا (توم) ، وهوى على وجهه فاقد الوعى ، والدماء تنزف من جرح فى رأسه ، فى حين انكمش موظف الأمانات فى رعب ، وهو يقول :



- الرحمه .. لقد أجبرنى على ..
أخرسه (أشرف) بلكمة قوية ، ارتطم لها رأس الموظف بإحدى الخزانات المعدنية ، وسقط بدوره فاقد الوعى ، وقالت (ناتاليا) :
- كان ينبغى أن نتوقع هذا .
سألها (أشرف) فى عصبية :
- ولكن ماذا سنفعل الآن ؟.. أراهن أن الشرطة التركية كلها ستنطلق خلفنا .. إننا نترك المصابين والقتلى فى كل مكان نتوقف عنده .
قالت ، وهى تجذبه من يده إلى الخارج :
- لا تفكر فى هذا الأمر الآن .
هتف فى حدة :
- ومتى تقترحين أن أفكر فيه ؟.. على حبل المشنقة ؟
جذبته إليها ، وهى تحضه على السير ببطء ، خشية لفت الأنظار ، وقالت :
- لا أعتقد أن الأمر سيبلغ هذا الحد .
قال فى عصبية :
- حقًا ؟!.. هل تفضلين حجرة الغاز ، أم المقصلة ، أم الكرسى الكهربائى ؟
قالت فى توتر :
- بل أفضل الفرار من (تركيا) كلها .
لوح بيده ، قائلا فى سخط :



ـ عظيم .. يالها من فكرة عبقرية !.. وكيف تقترحين أن نفعل ؟.. باستخدام طاقية الإخفاء أم بساط الريح ؟

جذبته فى عنف وهى تقول :

ـ انتبه .. ستجذب الانظار كلها إلينا .

جذبها بدوره ، وهو يقول فى حدة :

ـ وهل يعنيك هذا حقًا ، بعد كل ما ..

ولم يتمّ عبارته ..

لقد جاءت جذبته فى وقتها بالضبط ، فلم يكد يجذبها إليه ، حتى عبرت إلى جوار أذنها رصاصة ، ارتطمت بالجدار خلفها ، وسقطت عند قدميها ، فأدارت عينيها إلى مصدرها فى سرعة ، فى حين هتف (أشرف) مذعورًا :

ـ ما هذا ؟

اتسعت عينا (ناتاليا) ، وهى تهتف :

ـ (يورى) .

سألها (أشرف) فى عصبية :

ـ من ؟!

جذبته فى قوة ، هاتفة :

ـ انخفض أولا .

أطاعها فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة (يورى) الثانية ، وهشمت زجاج (بازار) صغير ، فى بهو الفندق ، فانطلقا يعدوان خارجه ، فى حين ساد الهرج والمرج فى البهو ، وانطلقت صرخات الذعر والفزع ، ولكن (يورى) تجاوز كل هذا ، وانطلق خلفهما ، واستوقفه رجل أمن الفندق ، وهو يقول فى صرامة :

ـ سيدى .. هذا المسدس الذى تحمله ..

لم يسمح له (يورى) بإتمام عبارته ، وإنما هوى على فكه بمسدسه ، وأزاحه عن طريقه ، ولكن زميل رجل الأمن انتزع مسدسه ، وصاح :

ـ توقّف وإلا .

التفت إليه (يورى) بحركة سريعة ، وأطلق عليه النار ، فسقط الرجل صريعًا ، وتضاعفت صرخات الفزع ، فى حين انطلق (يـورى) يعـدو خلـف (أشرف) و (ناتاليا) ، اللذين انحرفا فى ممر ضيق ، من ممرات (اسطنبـول) التجاريـة ، و (أشرف) يلهث ، هاتفًا فى انفعال :

ـ من هذا أيضًا ؟

أجابته (ناتاليا) فى توتر شديد :

ـ (يـورى مالينوفيـتش) .. قـاتل محترف .

اتسعت عيناه فى هلع ، وهو يقول :

ـ قاتل محترف ؟!.. هل بلغنا هذا الحد ؟

قالت فى عصبية :

ـ من الواضح أن القيادة فى (موسكو) قد اتخذت قرارًا بالتخلص منى .. لقد أصبحت أشكل خطرًا عليهم ، فهى ثانى محاولة لقتلى .
كان يلهث بشدة ، وهو يقول :
ـ الثانية ؟!
أجابته فى حنق واضح :
ـ نعم .. والأولى كانت بوساطة خطيبى السابق (نيكر) .
توقف يسألها مبهورًا :
ـ خطيبك السابق ؟!.. وماذا فعلت به ؟
أجابته فى حدة :
ـ وماذا كنت تنتظر منى أن أفعل ؟.. لقد قتلته ؟
سرت فى جسده قشعريرة ، وهو يقول :
ـ قتلته ؟!
عادت تجذبه فى قوة ، وهى تقول :
ـ دعنا لانضع الوقت ، فلن يلبث (يورى) أن يلحق بنا .. إنه مثلى ، يحفظ (اسطنبول) عن ظهر قلب .
ولكنه توقف قائلًا فى صرامة :
ـ أعطنى الأسطوانة .
قالت فى عصبية :
ـ لاوقت لهذا .
صاح فى حدة :
ـ قلت : أعطنى إياها .. والآن .
بدا الغضب على ملامحها ، وهى تقول :
ـ فليكن.. إنك لاتثق بى، ولكننى سأخيب ظنك.
وناولته الأسطوانة ، فالتقطها منها بلهفة ، وقال :
ـ انتظرينى قليلًا .
قالت فى عصبية :
ـ لن يمكننا الانتظار لحظة واحدة .. قلت لك : إن (يورى) ..
جذبها إلى مقهى قريب ، وهو يقول :
ـ لست أظنه يبحث عنا فى كل متجر .
صاحت فى توتر :
ـ هذا ماتظنه .. ها هو ذا قادم .
استدار فى سرعة ، ورأى (يورى) قادمًا عبر الممر التجارى ، فهتف بها :
ـ انطلقى .



سألته فى توتر .
ـ وماذا عنك ؟
صاح بها :
ـ قلت : انطلقى .
كانت تشعر بمزيج من الغضب والحنق والندم ، لأنها أعطته الأسطوانة ، ولكنها لم تملك سوى الانطلاق بأقصى سرعتها ، عبر الممر التجارى ، فلمحها (يورى) وهى تعدو ، وهتف :

ـ لن تجدى مهربًا ياعزيزتى (ناتاليا) .
كانت تعدو بكل قوتها ، ولكن الممر كان ضيقًا ومزدحمًا ، و ..

وارتطمت (ناتاليا) فجأة بكومة من الأقمشة ، ففقدت توازنها ، وسقطت على وجهها ، وحاولت النهوض بسرعة ، ولكنها سمعت (يورى) يقول ، على قيد متر واحد منها :

ـ لا فائدة يا (ناتاليا) .. إنها محطة النهاية .
قالها وهو يجذب إبرة مسدسه المزوّد بكاتم للصوت ، وشفتاه تحملان نفس الابتسامة الهادئة .. ابتسامة الموت .

★ ★ ★

١٢ ـ هاربان فى (اسطنبول)..

كان (يورى) يصوب مسدسه فى إحكام ، والمسافة التى بينه وبين (ناتاليا) لا تتجاوز مترًا واحدًا ، ولا أحد يجرؤ على اعتراضه ، وهو يحمل مسدسه ، وسط ذلك الممر التجارى فى (اسطنبول) ، ولكن (ناتاليا) هتفت فجأة ، وهى تتطلّع إلى ماخلف (يورى) :

ـ هيا .. اضربه .

اتسعت ابتسامة (يورى) ، وهو يقول :

ـ إنها خدعة قديمة قدم الدهر ياعزيزتى (ناتاليا) ، ولست أخالك تتوقعين أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، كان (أشرف) قد هوى على مؤخرة رأسه بتمثال نحاس ، اختطفه من أحد متاجر العاديات فى الممر ، فسقط (يورى) أرضًا ، وتجاوزه (أشرف) بوثبة واسعة ، وهو يقول لـ (ناتاليا) :

ـ أسرعى .

عاونها على النهوض ، وعادا يعدوان وسط الممر ، فى حين لم يفقد (يورى) وعيه ، وإنما شعر بدوار شديد ، وهو ينهض فى صعوبة ، مغمغمًا :

ـ اللعنة !.. إنها لم تكن خدعة .

وصوّب مسدسه إليهما ، وأطلق النار مرة أخرى ، ولكن رأسه الذى يدور فى شدة ، منعه من إحكام التصويب ، فى نفس الوقت الذى انحرف فيه (أشرف) و (ناتاليا) مع نهاية الممر ، إلى الشارع الواسع .

و (أشرف) ، يقول فى توتر :

ـ لقد نجونا مؤقتا .

أجابته (ناتاليا) فى عصبية :

ـ كان الأفضل أن تقتله ، فما أن يسترد اتزانه ، حتى يعاود مطاردتنا بمنتهى العنف والشراسة .

قال فى حدة :

ـ لست قاتلا ، ثم ..

وصمت لحظة ، ثم تابع فى غضب :

ـ ثم إننى أتضور جوعا .

كان يتوقع منها اعتراضًا واستنكارًا ، أو تأنيبًا وتقريعًا ، ولكنه فوجئ بها تقول :

ـ أنا أيضًا لم أذق الطعام ، منذ صباح أمس .

ثم أردفت فى حزم :

ـ ولكننا لن نتوقف لتناول الطعام ، إلا على بعد كيلومترين من هنا على الأقل .

وأشارت إلى واحدة من سيارات الأجرة ، التى توقفت على الفور ، فهتفت بسائقها :

ـ انقلنا إلى أقصى غرب المدينة .

تبعها (أشرف) داخل السيارة ، وهو يهتف :

ـ نعم .. إلى أفخر مطعم هناك .



واسترخى فى مقعده ، وهو يخفى وجهه بكفه ، فى حين التقطت (ناتاليا) نفسًا عميقًا ، وهى تلقى رأسها إلى الخلف ، وتفرد شعرها الأشقر الناعم الطويل على مسند المقعد الخلفى ..

ولامست خصلات شعرها وجه (أشرف) ، الذى استنشق عطرها فى عمق ، وأسبل جفنيه ، وهو يفكر فيها ..

إنها جميلة ..

بل رائعة الجمال ..

ما من شك فى هذا ..

وربما هذا هو ماجذبه إليها بالفعل ، وجعله ينحاز إلى صفها ، كما قال (دارك) ..

إنه انجذابه الطبيعى إلى الجمال ..

ولكن لماذا يشعر أنه أحمق هذه المرة ؟..

لماذا يشعر بالسخط على نفسه ، وهو يجلس إلى جوار أجمل فتاة رآها فى حياته كلها ؟..

إنه لم ينس بعد أن جمال توءمها (هيلجا) هو الذى أدى إلى تورّطه ، فى هذه المشكلة كلها ..

ولم يكد يستعيد هذه الذكرى القريبة ، حتى فتح عينيه ، واعتدل فى مجلسه ، والتفت إلى (ناتاليا) ، يسألها والسيارة تنطلق فى هدوء إلى أقصى غرب المدينة :

- ولماذا أقصى الغرب ؟

أجابته دون أن تعتدل ، أو تفتح عينيها :

- حتى نقترب بقدر الإمكان من الحدود اليونانية .

عاد يسألها فى إلحاح :

- ولماذا نفعل ؟

ابتسمت ابتسامة مرهقة ، وهى تقول :

- هذا هو الحل الوحيد .

هتف فى حدة :

- أى حل ؟

اعتدلت فى بطء ، وتطلّعت إليه بعينيها الزرقاوين الجميلتين ، وهى تقول :

- الحل الوحيد للفرار من هذه المشكلة كلها .. سنعبر الحدود اليونانية .

قال فى عصبية :

- حقًا ؟!.. إنك تتحدثين كما لو أن الأمر هيّن وبسيط .. إننا سنعبر حدود دولة مستقلة أيتها السوفيتية ، وأنا لا أحمل جواز سفر ، ولا نقود ، ولا...

قاطعته وهى تختلس النظر إلى السائق فى قلق :

- لا تشغل نفسك بمثل هذه الأمور .

أدرك ما تعنيه ، من نظرتها المختلسة إلى السائق ، فعقد حاجبيه فى غضب ، واكتفى بصمت متوتر ، حتى جمعهما مطعم صغير أنيق ، على بعد عشرة كيلومترات من الحدود اليونانية ، وهنا سألها فى حدة :

- كيف تتوقعين عبورنا الحدود ؟

أجابته فى هدوء ، وهى تتناول طعامها :

- بالرشوة .

مال نحوها ، يسألها فى دهشة :

- بماذا ؟

أجابته فى بساطة :

- بالرشوة يا رجل .. كل بلد فى العالم به عدد لا بأس به من المرتشين .

قال فى توتر :

- وأين سنعثر عليهم ؟.. هل سنقف عند الحدود ، ونهتف : « نريد مرتشين » ؟

ابتسمت وهى تقول :

- فكرة طريفة ، تصلح لفيلم هزلى من الدرجة الثالثة ، ولكننا لم نستخدمها بالتأكيد .

ثم مالت نحوه ، واستطردت فى اهتمام ، وبصوت شديد الخفوت :

- استخدام الرشوة لعبور الحدود أمر وارد دائمًا ، فى كل مهمة تسند إلينا ، لذا فنحن نحفظ أماكن العبور عن ظهر قلب ، وأسماء الموظفين المرتشين ، وحتى المبالغ التى ينبغى دفعها لهم .

تراجع مغمغمًا :

- آه .. فهمت .

عادت تتناول طعامها فى بساطة ، قائلة :

- والآن انته من تناول طعامك ؛ فأمامنا رحلة طويلة .

أجابها وهو ينهض :

- لقد انتهيت .. سأغسل يدىّ وأعود إليك .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ لا بأس .
ولكنها راقبته في اهتمام ، وهو يغادر قاعة الطعام ، ثم تنهّدت قائلة :
ـ مسكين أنت أيها المصرى .. لقد اضطرتك الظروف لخوض مغامرة لاقبل لك بها .
وواصلت تناول الطعام ، وهى تختلس النظر إلى حديقة المطعم الخارجية ، بين الحين والحين ، فى حذر وتحفّز ..
كان المكان عبارة عن مطعم صغير ، ملحق بفندق سياحى أنيق ، له حديقة واسعة غنّاء ، توقفت فيها حافلة سياحية ، وعدد من السيارات الصغيرة ، فى حين انتشر السائحون فى المنطقة يلتقطون الصور الفوتوغرافية ، ويتأملون الطبيعة الجميلة ..
وانشغلت (ناتاليا) بالمراقبة وتناول الطعام ، حيث انتبهت فجأة إلى أن (أشرف) لم يعد بعد ، فهبّت من مقعدها ، قائلة فى توتر :
ـ أين ذهب هذا المصرى ؟
لم تكد تتم عبارتها ، حتى ظهر (أشرف) ، وهو يتجه نحوها ، ويقول فى اهتمام :
ـ هل يمكنك تخيّل هذا ؟.. إن لديهم هنا قاعة كمبيوتر كاملة ، وحجرة للاتصالات الدولية ، و ...
قاطعته فى حدة :
ـ هل صنعت نسخة أخرى من الأسطوانة ؟
ابتسم قائلًا :
ـ كلّا بالطبع .. لم يخطر هذا ببالى قط ، فمن الخطأ أن تكون هناك نسخة أخرى من هذه الأسطوانة ، فى الوقت الحالى .
تنهّدت فى ارتياح ، وقالت :
ـ عظيم .. هذا أفضل .
ثم عادت تسأله فى اهتمام :
ـ ولكن لماذا تأخرت ؟.. ولماذا ؟ ..
بترت عبارتها بغتة ، وهتفت فى ارتياع :
ـ اللعنة !
ارتجف (أشرف) ، وهو يسألها :
ـ ماذا حدث ؟



أجابته فى توتر شديد ، وهى تشير إلى حديقة الفندق :
ـ الأمريكيون .
وثب من مكانه ، والتفت فى هلع إلى حيث تشير ، ورأى (دارك) يغادر سيارته ، ومعه (توم) ، ورجل آخر ضخم الجثة ، فهتف :
ـ ماذا سنفعل الآن ؟
أجابته فى حدة ، وهى تجذبه بعيدًا عن النافذة :
ـ ليس لدينا سوى حل واحد .
وأضافت وهما يغادران المطعم ، بخطوات أقرب إلى العدو :
ـ الفرار .
عبرا ممرات الفندق بخطواتهما السريعة ، حتى بلغا الباب الخلفى للفندق ، فانتزعت (ناتاليا) مسدسها ، وهى تقول :
ـ احترس حتى لا يلمحنا أحدهم .
قال فى توتر :
ـ المهم كيف يمكننا الفرار .. لقد رحلت سيارة الأجرة ، ولسنا نمتلك سيارات أخرى هنا .
قالت فى خفوت :
ـ أعتقد أننا نستطيع الاستيلاء على واحدة .
هتف فى غضب :
ـ هل سنسرق سيارة ؟!.. عظيم .. ألا توجد موبقات أخرى ، ترغبين فى دفعى إلى فعلها يا (ناتاليا) ؟

قالت فى صرامة :

ـ كف عن ثورتك العقيمة هذه ؟

قال فى حدة :

ـ ثورتى العقيمة ؟!.. ألا تدركين أننى ، ومنذ التقيت بشقيقتك ، أضطر لارتكاب أفعال لم يخطر ببالى القيام بها يومًا ؟

أشارت إليه بيدها ، قائلة :

ـ اصمت .. لو واصلت صراخك هذا ، فسيرسلون إلينا الجيش الأمريكى نفسه .

دارا حول الفندق ، وهو يشعر بمزيج متصارع من السخط والتوتر والقلق فى أعماقه ، حتى بلغا الحديقة مرة أخرى ، وقالت (ناتاليا) ، وهى تشير إلى سيارة الأمريكيين ، التى يقف إلى جوارها (توم) ، وقد أولاهما ظهره ، وقالت :

ـ ما رأيك فى هذه السيارة ؟

هتف فى دهشة :

ـ هل تمزحين ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ مطلقًا .. إنها أفضل فكرة قفزت إلى ذهنى ، منذ عام على الأقل .. إننى سأهاجم ذلك الأمريكى ، وأفقده الوعى بضربة مباغتة على مؤخرة رأسه ، ثم تقفز أنت إلى السيارة ، وتنطلق بها ... ، و ....

قاطعها فى حدة :

ـ لن يمكننى هذا .

تنهّدت وقالت :

ـ أعلم أنك تكره العنف ؛ لذا فسأقوم أنا بالعمل كله ، ولن يكون عليك سوى قيادة السيارة ، حتى نبتعد عن هنا ، و ...

قاطعها فى عصبية :

ـ إننى أجهل قيادة السيارات .

التفتت تتطلّع إليه فى دهشة ، قائلة :

ـ ماذا ؟!

أجابها فى عصبية أكثر :

ـ إننى أجهل قيادة السيارات .. ماذا فى هذا ؟.. إننى لم أمتلك سيارة يومًا ، ولم تكن بى حاجة لتعلم القيادة .

بدت له ابتسامتها وكأنها ستنفجر ضاحكة ، إلا أنها لم تلبث أن ناولته المسدس ، وهى تقول فى هدوء :

ـ فليكن .. سنعكس الأدوار .. اضربه أنت ، وسأقود أنا السيارة .

التقط المسدس منها ، وهو يقول :

ـ فليكن .

أمسك المسدس فى توتر شديد ، حتى هتفت هى :

ـ الآن .

قالتها فانطلقا فى آن واحد ، عبر الأمتار الخمسة ، التى تفصلهما عن (توم)، الذى شعر بوقع أقدامهما خلفه ، فالتفت بسرعة ، وهتف فى عصبية ، وهو يمدّ يده لالتقاط مسدسه من جيب سترته :

ـ اللعنة !

ولكن (أشرف) استجمع كل قوته ، وهوى على وجهه بضربة عنيفة بمسدسه ، تراجع لها الرجل فى عنف ، وارتطم بالسيارة ، وصاح فى غضب :





ـ أيها المصرى الـ ...

وعاجله (أشرف) بضربة أخرى ، أشد عنفًا من الأولى ، فى نفس اللحظة التى قفزت فيها (ناتاليا) إلى مقعد القيادة ، وأدارت المحرك ، وهى تهتف :

ـ أسرع يا (أشرف) .. أسرع .

سقط (توم) فاقد الوعى ، فى حين ظهر (دارك) والرجل الآخر عند مدخل المطعم ، وصاح الأول فى توتر :

ـ توقفا .

ولكن (أشرف) قفز داخل السيارة ، التى انطلقت بها (ناتاليا) على الفور ، والرجل المصاحب لـ (دارك) ينتزع مسدسه ، ويطلق النار خلف السيارة ، حتى هتف به (دارك) :

ـ ابحث عن وسيلة يا (براون) .. لابد أن نلحق بهما .

انطلق (براون) بلا تردد إلى الحافلة السياحية ، فانتزع سائقها من مكانه ، وألقى به فى الحديقة وهو يقول :

ـ أسرع يا مستر (دارك) .. أسرع .

وثب (دارك) إلى الحافلة ، فانطلق بها (براون) مباشرة خلف سيارة (ناتاليا) و (أشرف) ، لتبدأ مطاردة جديدة .. مطاردة قاتلة .

* * *

١٣ ـ المطاردة

انطلقت (ناتاليا) بأقصى سرعتها ، متجهة نحو الغرب ، فى اتجاه الحدود اليونانية ، وبدا (أشرف) شديد التوتر ، وهو يلتفت خلفه ، قائلًا :

ـ أراهن أنهم سيجدون وسيلة لمطاردتنا .

غمغمت فى توتر :

ـ نعم .. أعتقد هذا .

صمت لحظات ، ثم سألها بغتة :

ـ ما ذلك السر ، الذى تحويه أسطوانة الكمبيوتر ؟

عقدت حاجبيها ، قائلة :

ـ ليس هذا وقت مناقشة ذلك .

قال فى حدة :

ـ أريد أن أعرف على الأقل ذلك السر ، الذى قد أموت من أجله .

ران عليهما الصمت لحظات أخرى ، وهى تضغط دوّاسة الوقود بكل قوتها ، ثم قالت فى توتر :

ـ هذا حقك .

والتقطت نفسًا عميقًا ، قبل أن تستطرد :

ـ أنت تعلم أن سلاح الطيران المصرى أصبح يضمّ فى الآونة الأخيرة مختلف أنواع الطائرات ، من الميج السوفيتية ، إلى الميراج الفرنسية ، والفانتوم الأمريكية ، ولكن المشكلة التى تواجه المصريين ، هى أنهم يحصلون على طرازات ليست بالحديثة ، من كل الأطراف ؛ لذا فقد قرّروا القيام بعدد من التطويرات ، فيما يحصلون عليه من طائرات ، لتعويض الفارق .

غمغم فى توتر :

ـ هل هذه المقدّمة ضرورية ؟

أجابته بسرعة : ـ بالتأكيد .

ثم التقطت نفسًا آخر ، وواصلت :

ـ وطوال العامين السابقين ، انهمك عدد من مهندسى الطيران المصريين ، وبصورة سرية تمامًا ، فى تطوير نظم الدفاع والقتال ، فى (الفانتوم ـ ٢٠) ، والعجيب أنهم توصّلوا إلى نظم تحكّم جديدة ، تعدّ سابقة مدهشة من نوعها ، فى سرعة ويسر الأداء .

سألها فى دهشة :

ـ أتعنين أن هذه الأسطوانة ..

قاطعته وهى تتطلّع فى توتر إلى مرآة السيارة :



ـ نعم .. إنها تحوى كل التصميمات اللازمة ، وهى النسخة النهائية والوحيدة ، ووضعها فى شكل لعبة من ألعاب الكمبيوتر هو نوع من الخداع والتمويه .. ولقد بذلنا جهدًا رهيبًا ، حتى أمكننا الحصول على هذه الأسطوانة ، ولكن الأمريكيين توصلوا إلى هذا ، ولست أدرى كيف ، ولكنهم يسعون لاستعادة الأسطوانة منا فى استماتة ، فهى لا تكشف التطوير الجديد لمهندسى الطيران المصريين فحسب ، وإنما تفضح التصميمات الفعلية للطائرة (فانتوم ـ ٢٠) أيضًا ، وهذا مايثير جنون الأمريكيين ، و ..

قاطعها هاتفًا :

ـ إنهم خلفنا ، فى الحافلة السياحية .

هتفت وهى تحاول مضاعفة ضغطها على دوّاسة الوقود :

ـ هذا ما كنت أخشاه ..

انطلقت السيارة بأقصى سرعتها ، ولكن الحافلة راحت تقترب منها فى سرعة مماثلة ، فهتف (أشرف) فى توتر :

ـ سيلحقون بنا .

قالت فى حدة :

ـ حافلتهم أقوى من سيارتنا .

لحقت بهما الحافلة بالفعل ، وراح (براون) يميل بها نحو سيارتهما ، فى محاولة لدفعهما خارج الطريق ، فصاحت (ناتاليا) :

ـ أطلق النار يا (أشرف) .. أطلق النار عليهما .

انتبه (أشرف) فجأة إلى أنه مازال يحمل مسدسها ، فأدار فوهته بسرعة إلى الحافلة ، وراح يطلق النار ..

وأصابت الرصاصات جسم الحافلة ، فضغط (براون) فراملها بحركة آلية ، وهتف (دارك) فى حنق :

ـ إذن فأنت ترغب فى تبادل النيران أيها المصرى .. فليكن .. أنت جنيت على نفسك .

وانتزع من سترته مسدسًا آليًا ضخمًا ، وهو يصرخ :

ـ خذ هذه الرصاصات الأمريكية .

انهالت الرصاصات من مسدسه فى غزارة ، وأصابت جسم السيارة الأخرى وزجاجها الخلفى ، فانحنى (أشرف) يتفاداها ، وهو يهتف فى هلع :

ـ ما هذا بالضبط ؟.. مدفع آلى .

أجابته (ناتاليا) ، وهى تحاول مناورة الحافلة بكل قوتها :

ـ بل هو مسدس ، ولكنه أشبه بالمدفع الآلى ، فخزانته تحوى مائتى رصاصة دفعة واحدة .

ثم زفرت فى حدة ، مستطردة :

ـ ينبغى أن نعترف بأنهم يفوقوننا قوة .

قال (أشرف) فى عصبية :

ـ ياله من اعتراف طريف !.. وماذا نفعل إزاء ذلك أيتها العبقرية .. هل نستسلم ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تقول :

ـ ليس فى نيتى هذا .

ثم انحرفت بسيارتها فجأة ، بحيث أصبحت أمام الحافلة تمامًا ، وقالت :

ـ سيصعب عليهم إصابتنا ، من هذه الزاوية المباشرة .

ولكن (دارك) قفز يطلق النار على زجاج الحافلة الأمامى ، حتى أسقطه ، وانحنى يطلق الرصاصات على السيارة من أعلى ، صارخًا :

ـ فكرة غبية أيتها السوفيتية .. غبية مثلك .

غمغمت (ناتاليا) :

ـ تشبث جيدًا ، قبل أن تنطق عبارة سخيفة كهذه أيها الأمريكى .

ثم ضغطت فرامل السيارة بغتة ..

وارتطمت مقدمة الحافلة بمؤخرة السيارة ، فصرخ (أشرف) :

ـ ماذا تفعلين أيتها المجنونة ؟

لم تجبه (ناتاليا) ، وهى تراقب مرآة سيارتها فى اهتمام ، فقد كانت تتوقع اندفاع (دارك) خارج مقدمة الحافلة ، بفعل التوقف المفاجئ ..

وكاد هذا يحدث بالفعل ..

ولكن (دارك) تراجع في اللحظة الأخيرة ، وجاء الارتطام ليدفعه إلى الأمام ، فأمسك (براون) حزامه بسرعة ، وهو يهتف :

ـ إلى أين ؟

وأنقذت حركة (براون) اليقظة (دارك) من السقوط ، ولكنه ارتطم بالمقدمة ، فسقط منه مسدسه الآلي ، وصاح في غضب :

ـ اللعنة عليك أيتها السوفيتية .. ستدفعين ثمن المسدس غاليًا .

وبكل قوته ، ارتطم (براون) بالسيارة مرة أخرى ، وراح يدفعها أمامه ، وهو يطلق ضحكة عالية ، قائلًا :

ـ إنهم تحت سيطرتنا الآن يامستر (دارك) .. أين تحبني أن أدفع بهم .. إلى الهاوية ، أم إلى الجبل ؟

قالها وهو ينقل بصره في جذل ، مابين الصخور إلى اليمين ، وحافة الهاوية العميقة إلى اليسار ، فأجابه (دارك) في غضب :

ـ افعل بهما ما يحلو لك .. المهم أن تختفي تلك الأسطوانة اللعينة من الوجود .. وإلى الأبد .

أطلق (براون) ضحكة عالية ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا مستر (دارك) .. أشكرك على منحي حق الاختيار .

وفي نفس اللحظة ، كان (أشرف) يهتف :

ـ إنهم يسيطرون علينا .. ماذا يمكننا أن نفعل ؟

صاحت به (ناتاليا) :

ـ استخدم المسدس .. أطلق النار عليهم .

هتف :

ـ كيف ؟

أجابته في توتر شديد ، وقد بدأ (براون) يدفع سيارتهما إلى اليسار ، حيث حافة الهاوية :

ـ أطلق النار على إطار الحافلة الأيمن .. أسرع .

لم يكن يدرك ماترمي إليه بالضبط ، ولكنه اعتدل ، وأمال جسده عبر النافذة ، وصوّب المسدس إلى الإطار الأيمن ، وأطلق النار .

ومع الرصاصة الثالثة ، انفجر الإطار الأيمن ، فصرخ (براون) :

ـ اللعنة !

وعلى الرغم منه ، وبشكل تلقائي تمامًا ، ضغط فرامل الحافلة ، وانحرف بها إلى اليمين ، مع انخفاض مستوى الحافلة ، في اتجاه الإطار المنفجر ، وفي نفس اللحظة ، انحرفت (ناتاليا) إلى اليسار ، وسمع (أشرف) من خلفه صوت ارتطام الحافلة بالصخور ، فصرخ في (ناتاليا) في هلع :

ـ احترسي .. الهاوية أمامنا .

أمالت عجلة القيادة مرة أخرى إلى اليمين ، وضغطت الفرامل في خفة ، ورأى (أشرف) إطار السيارة الأمامي الأيسر يتجاوز الهاوية ، ثم تميل السيارة كلها ، فيعود إلى الطريق ، الذي اندفعت السيارة فوقه ثانية ، وهي تثير من خلفها عاصفة من الغبار ..

وهتف (أشرف) :

ـ ربّاه !.. لقد تصوّرت لحظة أننا سنسقط في الهاوية .

همست (ناتاليا) في اضطراب شديد :

ـ وأنا كذلك .

حدّق في وجهها مذعورًا ، ثم ألقى جسده فوق مقعده في ارتياع صامت ، في حين واصلت هي الانطلاق بالسيارة بضع دقائق ، قبل أن تصدر عن المحرّك قرقعة مخيفة ، ثم ترتجّ السيارة في عنف ، ويصمت صوت محرّكها تمامًا ..

واعتدل (أشرف) في ذعر ، وهو يقول :

ـ ماذا حدث ؟

أجابته (ناتاليا) في توتر :

ـ لقد نفد الوقود .

اتسعت عيناه في ارتياع ، وهو يهتف :

ـ الآن ؟!

لم يكد يتمّ كلمته ، حتى انتبه فجأة إلى أزيز واضح ، أخفاه صوت المحرّك طويلًا ..

أزيز هليوكوبتر ..

وفي توتر بالغ ، هتفت (ناتاليا) :

ـ هناك من يطاردنا بطائرة هليوكوبتر .

قال في هلع :

ـ الأمريكيون .
ألقت نظرة سريعة على مرآة السيارة ، ثم قالت فى عصبية :
ـ بل رجال الشرطة .. الشرطة التركية .
أطلق (أشرف) شهقة مكتومة ، وارتمى مرة ثانية على مقعده ، متمتمًا :
ـ هذا ما كان ينقصنا .
وفي اللحظة نفسها ارتفع صوت أحد رجال الشرطة التركية ، عبر مكبِّر صوتى ، وهو يقول من الهليوكوبتر :
ـ لا فائدة من الفرار .. استسلما على الفور .. لدينا بلاغ رسمى حول سرقتكما لهذه السيارة .. توقفا عند جانب الطريق .
كانت سرعة السيارة تنخفض تدريجيًا ، بعد نفاد الوقود ، فانحرفت بها (ناتاليا) إلى جانب الطريق ، وهى تقول فى صرامة :
ـ أعطنى المسدس .
اعتدل (أشرف) يسألها فى توتر :
ـ فيم تفكرين ؟
كرَّرت فى حدة :
ـ أعطنى المسدس .
قال فى توتر :
ـ اسمعى .. إننا نواجه الشرطة الرسمية التركية هذه المرة .
قالت فى صرامة :
ـ إننا ندافع عن حياتنا .
هتف مستنكرًا :
ـ ضد رجال الشرطة ؟!
انتزعت المسدس من يده فى عنف ، وهى تقول :
ـ لست أجد فارقًا .
شعر بقلبه يخفق فى عنف ، وهى توقف السيارة ، وتغادرها مخفية المسدس خلف ظهرها ، فغادرها خلفها ، وهو يتمتم :
ـ قلبى يحدثنى بأننا فى مواجهة كارثة .
لم تجب (ناتاليا) ، التى وقفت صامتة ساكنة ، تتطلع إلى الهليوكوبتر فى انتباه ، وهى تحوم حولهما ، فى حين قال حامل مكبِّر الصوت فى صرامة :
ـ أفرغا جيوبكما ، وابتعدا مسافة مترين عن السيارة .
غمغمت (ناتاليا) :



ـ هذا ما كنت أخشاه .
قال (أشرف) فى عصبية .
ـ ليس هناك ما تخشينه .. إنهم رجال شرطة رسميون .
قالت في برود :
ـ ومن أدراك ؟
هوى قلبه بين قدميه مع عبارتها ..
نعم .. من أدراه أنهم رجال شرطة بالفعل ؟
وفى توتر ، راح يراقب الهليوكوبتر ، التى تحوى ثلاثة يرتدون زى الشرطة التركية .. الطيَّار ، وحامل مكبر الصوت ، وثالث يحمل مدفعًا آليًا ، ويصوبه إلى حيث يقف مع (ناتاليا) ..
وفى صرامة أشد ، كرَّر حامل مكبِّر الصوت :
ـ أفرغا جيوبكما ، وابتعدا عن السيارة ، وإلا فسنضطر لإطلاق النار .
ومع كلماته ، برز صاحب المدفع الآلى ، وبدا متحفزًا ، و ...
وفجأة ، أخرجت (ناتاليا) المسدس من خلف ظهرها ، وأطلقت النار على صاحب المدفع الآلى ، فأصابته إصابة مباشرة ، وأسقطته من الهليوكوبتر ..
وصرخ (أشرف) فى ارتياع :
ـ ماذا فعلت أيتها المجنونة ؟
دفعته جانبًا ، وهى تهتف :
ـ ابتعد .
ولكن الهليوكوبتر توقفت لحظة فى الهواء ، ثم اندفعت نحوهما فى سرعة ، وضغط قائدها زرًا صغيرًا أعلى عصا القيادة ..
وانطلقت نيران مدفع الهليوكوبتر الآلى نحو (أشرف) و (ناتاليا) ..
وانهالت الرصاصات كالمطر ..
أو كالمـوت .

* * *

[البقية فى العدد القادم]



« لابد أن نفترق .. »

انتفض (كريم) فى دهشة ، وهو يحدّق فى وجه (شهيرة) ، بعد أن نطقت هذه العبارة ، وارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يغمغم :

ـ ماذا يا (شهيرة) ؟

قالت فى عصبية :

ـ نفترق يا (كريم) .. هذا هو قرارى الأخير .

تطلّع إليها لحظة فى ارتياع ، فتابعت وهى تتحاشى النظر إلى عينيه :

ـ لقد فكّرت فى أمرنا جيّدا ، ووجدت أن علاقتنا غير منطقية ، فأنا أكبرك بعام كامل ، وأدرس فى كلية عملية ، فى حين تدرس أنت فى كلية نظرية .

قال فى أسى :

ـ ولكننى سأحصل على شهادة (الليسانس) هذا العام ، ويمكننى التقدّم لخطبتك ، فور حصولى على عمل مناسب ، و ...

قاطعته فى توتر :

ـ مستحيل يا (كريم) .. مستحيل !

ارتجفت شفتاه ، وهو يقول :

ـ ولكننى أحبك .

تنهّدت قائلة :

ـ أعلم هذا .

قال فى شىء من الرجاء :

ـ وأنت تحبيننى .

هتفت فجأة :

ـ هذا لا يكفى .. إنك تتحدّث على نحو عاطفى بحت ، أما أنا ، فأفكّر بشكل عملى منطقى .. كيف يمكننا أن نتزوّج ؟.. ومتى ؟.. لقد حسبت الأمر بعقلى ، ووجدت أن زواجنا مستحيل !

قال فى عصبية :

ـ الإنسان لا يحسب كل أمور الدنيا بعقله .

قالت محتدة :

ـ خطأ .. الإنسان الذى لا يحسب كل الأمور بعقله ، هو إنسان فاشل ، فالعاطفة وحدها لا تقيم حياة سعيدة .

قال فى توتر :

ـ ولا العقل وحده .

نهضت فى حزم ، وهى تقول :

ـ ليس هذا ما أومن به .

وحملت حقيبتها ، مستطردة :

ـ وعلى أية حال ، لست هنا لمناقشة الأمر .. لقد اتخذت قرارى .. الوداع يا (كريم) .

هتف بها وهى تبتعد :

ـ (شهيرة) .. إننى أحبك .

ولكنها لم تتوقف ..

ولم تلتفت إليه ..

لقد أسرعت تبتعد ، بكل ماتملك من قوة ، وكأنها تفرّ من صوته ، ومشاعره ، وحبه ..

نعم .. إنها تحبه ..
ليس لديها أدنى شك فى هذا ..
ولكن عقلها يرفض مثل هذه العلاقة ..
يرفضها بشدة ..
وطوال الطريق إلى منزلها ، راحت تكتم دموعها فى إصرار ، إلا أنها لم تكد تغلق باب حجرتها خلفها ، حتى وجدت نفسها تبكى بحرارة ..
لقد اتخذت القرار بمحض إرادتها ..
وبمنتهى الحزم ..
فلماذا تبكى الآن ؟..
لماذا تشعر وكأنها قد انتزعت قلبها بيدها ، ووطئته بقدمها ، فسحقته على أرض المنطق والعقل ؟..
ولكنها لم تتراجع ..
لن تتراجع أبدًا ..
ستعتصر قلبها ..
ستدفن خفقاته فى صدرها ، وتخفى آلامه عن وجهها ، وتمحو حزنه من عينيها ..
لن تستسلم أبدًا ..
أبدًا ..
وكجزء من قرارها ، رفضت تمامًا التحدث إلى (كريم) ، أو مناقشة أمر انفصالها عنه مع شقيقتها أو أصدقائها المشتركين ..
وفهم (كريم) الموقف ..
وانسحب ..
ومع انسحابه ، لم تشعر بذلك الارتياح ، الذى تصوَّرت أنها ستشعر به ..
لقد شعرت بالخواء ..
شعرت وكأنها أصبحت تحيا فى فراغ تام ..
ولكنها قاومت ..
وتخرَّج (كريم) من كليته النظرية ، وسافر للعمل فى الخارج ، فى حين انهمكت هى فى دراستها العملية ، حتى نالت شهادتها بعده ، بعدة أشهر ، والتحقت بالعمل فى مكان أنيق معروف ، قرَّرت أن تصبح واحدة من قياداته ، بعد سنوات قليلة ، لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ..
وفى عملها ، التقت بـ (عارف) ..
شاب طموح ، عملى ، تخرَّج من نفس كليتها ، ويسبقها بعام واحد ..
وعلى نحو مباشر ، وبشكل عملى تمامًا ، فاتحها (عارف) برغبته فى التقدم لخطبتها ..
وحسدتها زميلاتها ، على فوزها بقلب (عارف) ، الذى يتوقَّع له الجميع مستقبلًا مرموقًا ، فى هذا العمل بالذات ..
ولكنها لم تشعر بالسعادة ..
كان عقلها شديد الاقتناع بـ (عارف) ،





ولكن قلبها ما يزال هادئًا ، مستكينًا ، يتطلّع إليه في رصانة ، وبشيء من اللامبالاة ..

إنها لم تشعر بخفقات قلبها قط ، كلما التقت به ..

لم تراودها اللهفة يومًا لرؤيته ..

ولكنها مقتنعة به تمام الاقتناع ..

والعجيب أنها لم تعلن له موافقتها على الفور ..

لقد طلبت منه مهلة للتفكير ..

ومنحها (عارف) المهلة ..

منحها إياها في هدوء وبساطة ، ثم عاد ينهمك في عمله ، وكأنه لا يشعر بوجودها ..

وكانت المهلة أسبوعًا واحدًا ..

وفي سرعة ، مضت أيام الأسبوع ..

فجأة ، وجدت أنها مطالبة بإعلان قرارها في الصباح التالي ..

والعجيب أن (عارف) لم يشر إلى المهلة قط طوال الأسبوع ، ولكنه التقى بها ، في اليوم السابق لانتهاء المهلة ، وقال في حسم :

ـ موعدنا غدًا .

أجابته في خفوت :

ـ بإذن الله .

تطلّع إليها لحظة ، ثم قال في هدوء :

ـ أريد جوابًا حاسمًا وصريحًا .

تنهّدت وقالت :

ـ ستحصل عليه .

انصرف على الفور ، دون أن يلتفت ليلقى نظرة أخرى عليها ، فاتجهت إلى مكتبها ، وراحت تعيد النظر في كل مايتعلق به ..

ومرة أخرى ، وافق عقلها بلا تردد على الارتباط به ، وامتنع قلبها عن التصويت ، وتركها حائرة مرتبكة ..

وهتفت في أعماقها :

ـ ماذا أريد بالضبط ؟.. ألم أصرّ على الاستجابة لصوت العقل ؟

واتخذت قرارها في حسم ..

ستعلن موافقتها على الارتباط به ..

ولن تنتظر الغد ..

ستعلن موافقتها الآن ..

في هذه اللحظة ..

ونهضت من خلف مكتبها في حزم ، واتجهت إلى باب الحجرة ، وفتحته في قوة ، و ..

وسرت في جسدها ارتجافة قوية ..

لقد وجدته أمامها مباشرة ..

(كريم) ..

(كريم) بشحمه ولحمه ..

(كريم) بابتسامته الهادئة ، ونظراته الدافئة الحنون ..

وبصوت مرتبك ، غمغم (كريم) :
ـ معذرة .. كنت مارًا من هنا ، و ... ، و ...

لم يستطع إتمام عبارته ، وهو يتطلّع إليها فى لهفة وحب ، فأفسحت له الطريق ، وهى تقول :

ـ أهلًا بك يا (كريم) .. تفضّل .. تفضّل على الرحب والسعة .

دلف إلى حجرتها فى ارتباك ، واتخذ المقعد المقابل لمكتبها ، فاتجهت هى للجلوس خلف مكتبها ، وهى تقول :

ـ حمدًا لله على سلامتك .. متى عدت ؟
أجابها فى خفوتٍ :
ـ اليوم .. بل الآن ..
ثم ازدرد لعابه ، وقال :
ـ الواقع أننى أتيت مباشرة ، من المطار إلى هنا .
قالت فى دهشة :
ـ أين حقائبك إذن ؟
تخضّب وجهه بحمرة خفيفة ، وهو يجيب :
ـ لست أحمل أية حقائب .. فقط هذه .

وأخرج من جيبه علبة مخملية صغيرة ، ناولها إياها ، وهو يستطرد مرتبكًا :

ـ سوف .. سوف أعود بطائرة المساء .
أدهشها أن يأتى ويرحل فى يوم واحد ، ولكنها التقطت العلبة ، وهى تسأله :

ـ ما هذه ؟
ابتسم فى حنان وهو يقول :
ـ الهدية .. هدية عيد مولدك .. كل عام وأنت بخير .

شهقت مع مرأى ذلك الخاتم الماسىّ الرائع ، الذى يستقر داخل العلبة ، ثم رفعت عينيها إليه غير مصدّقة ..

إنه يذكر تاريخ مولدها ، وسافر من حيث يعمل إليها ، ليقدّم لها هديته ، ويعود فى اليوم نفسه ..



يا لها من لمسة رائعة ..
وخفق قلبها بشدة ..
ولأوّل مرة منذ افترقا ، عادت تشعر بلذة الحب واللقاء ..
وفى خجل وارتباك ، غمغم (كريم) :
ـ هل .. هل راقت لك الهدية ؟
ابتسمت فى سعادة ، وهى تقول :
ـ إنها شبكة رائعة .
برقت عيناه فى سعادة ، وهو يهتف فى لهفة :
ـ (شهيرة) .. هل تعنين ؟
أجابته فى حب واضح :
ـ نعم .. لو أنك قد غفرت لى .
هتف فى فرح غامر :
ـ غفرت لك ؟!.. وهل نسيت حبك لحظة واحدة يا حبيبتى ؟

وفى مساء اليوم نفسه ، كان يضع دبلته فى إصبعها ، وقلبها يخفق فى شدة ..
لقد استعادت كل حبها له بلمسة ..
لمسة حب واحدة .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]